د. لويس عوض

تتلمذت بشغف وتلذذ على يدى سلامة موسى لأنه كان يتحدث وبشكل مباشر عن الاشتراكية، ولأنه كان مثلى من دراويش مصر الفرعونية.
د. لويس عوض (فى حواره معى)

هو واحد من أبناء الصعيد الجوانى كما كان يحلو له أن يصف نفسه كلما لامه أحد على عناده، ولد فى قرية شارونة (مركز مغاغة فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٤) وكان أبوه موظفا لدى الإدارة الإنجليزية فى السودان، ولأن الأب فى السودان فلم يجرؤ أحد على تسمية الابن إلا عندما يقرر الأب، ولهذا قيد فى سجل المواليد فى ٥ يناير ١٩١٥ وهذا تاريخ ميلاده الرسمى، خمس سنوات قضاها فى السودان مع أبيه، لكن الأب كان يعانى من مصريته وهو يتوظف عند الاحتلال البريطانى بالسودان، فألقى باستقالته وعاد لمصر، ويتذكر لويس أيام طفولة غائمة فى السودان «أقامت أسرتنا صداقات حميمة مع الأسر المصرية المسلمة، وفى أعيادنا وأعيادهم نتزاور ونتبادل هدايا من الكعك والغريبة والمنين فيما يشبه الطقوس» (لويس عوض - أوراق العمر - ص١٧) «وفى مدينة المنيا تستقر الأسرة فقد باع الأب كل ما يملك وباعت الأم مصاغها وبنى منزلا متواضعا» ويتحدث لويس عوض ربما عن نفسه بالذات ولكنه ينسب الأمر إلى أسرته كلها فيقول «ونحن آل عوض لنا بعض الخصائص النفسية المشتركة منها أننا لا نكذب، ولا نعرف الكذب حتى للمجاملة أو لتجنب الحرج أو الخروج من المأزق، ومنها أننا عاطلون من الذكاء الاجتماعى، وهذا ما يجعلنا نعيش فى عزلة نسبية مهما كانت دائرة معارفنا واسعة» وكان لويس كذلك بالفعل، وكان يبرر صراحته المباشرة وهجومه المباشر وعدم إتقانه فنون مثقفى زمانه فى الالتواء والمجاملة والتبرير بأنها «عادة وراثية» لكن ذلك تسبب له فى صدامات ومعاناة بل وعذابات لم يكن مستعدا لها، وهذه الصراحة كانت مثارا لخلافات حتى مع والده فقد تقدم

عريس لأخته مينرفا، وكان جلفا وجاهلا وابن بقال، ورفض الأب فليس لهذا الجلف ابن البقال أن يتزوج ابنة موظف سابق ومحترم، ولكن لويس وهو فى سن السادسة عشرة يصرخ فى والده «هذه أفكار دقة قديمة، وفوارق طبقية سخيفة، المهم أن تقرر مينرفا بنفسها ما تريد» ومن مدرسة الفرير إلى المنيا الابتدائية الأميرية إلى المنيا الثانوية وفيها سمع الكثير عن الاحتلال والإنجليز، وما أن تلقن بعض دروس الكيمياء حتى أقام فى المنزل معملا كيماويا صغيرا مع أخيه فيكتور ليصنعا بارودا ومتفجرات لقتل الإنجليز، لكنهما لم يقتلا أحدا، لسبب بسيط وهو أنه لم يكن فى المنيا أى إنجليز.

الأب كان شخصية هادئة، يشرب كل يوم زجاجة نبيذ كاملة ويستمتع بإدخال ابنيه فى امتحانات يومية إما لحفظ قصائد من الشعر الإنجليزى أو العربى أو حتى آيات من القرآن الكريم.. هو يشرب ويستمع ويصحح ثم يعطى الفائز قرشا، ويتمشى لويس بالجلباب والشبشب ليشترى جرنال البلاغ من محطة السكة الحديد بهذا القرش.

ولأن أباه قال له يوما إن الشيوعية تعنى أن المال يكون مملوكا للجميع على قدم المساواة، فقد أثار ذلك خياله بحثا عنها، لكنه ينتظر حتى يصل إلى السنة الثالثة بكلية الآداب حيث أعاره أستاذه برين ديفيز كتاب رأس المال ويقول «فقرأت أجزاء كبيرة منه وأيضا عدة كتب لباكونين وكروبتكين.. وكان أستاذى برين ديفيز فابيا»، ولعل لويس قد ظل متأثرا به طوال حياته، وفى الجامعة كان ثمة أستاذ شيوعى متحمس هو الدكتور هولواى «وتحدث معى كثيرا عن المادية الجدلية وأعارنى عديدا من الكتب مثل: دياليكتيك الطبيعة وضد دوهرنج وعشرة أيام هزت العالم، وشرح لى أسباب الصراع بين ستالين وتروتسكى ولا أغالى إذا قلت إن هولواى كان من أعظم المؤثرات على فكرى وثقافتى فى هذه الفترة الخطيرة من نموى النفسى والثقافى حين سقطت أمامى كل التخوم بين الثقافات والحضارات وكل الحواجز بين الأزمنة والأمكنة» لكن لويس وبرغم إعجابه بالفكر الماركسى وبأستاذه هولواى تعلق أيضا بأستاذ آخر هو البروفسور سكيف «وكان أستاذى سكيف يمقت الاشتراكية بل يمقت كل مذهب يقيد فردية الفرد وحريته فى الاختيار الدائم».

وأعجب لويس أيضا «بفردية الفرد» وحقه فى التحليق الدائم بين الأفكار والآراء المختلفة فظل على الدوام متمردا يقبل بالاشتراكية وحتى بالماركسية ويرفض التقيد بالولاء

الفكرى لها بل وينتقد أحيانا بعض مفرداتها وأساليب تطبيقها، ويمنى نفسه بأن يكون ليبراليا لكنه لا يلبث أن يتمرد على الليبرالية المطلقة، وتتضاعف معاناة لويس عوض من هذا الموقف المركب بسبب من صراحته وصرامته فى عرض أفكاره دون تردد ودون حرص، ويضاف إلى هذه الصراحة صراحته فى ضرورة الانتماء المصرى الفرعونى، وضرورة دراسة الحقبة القبطية فى تاريخ مصر، فتعرض لويس لهجمات عديدة وفجة. ويقول «لكن أكثر ما يوجعنى هو أن ينسب هؤلاء المهاجمون لى أفكارى إلى قبطيتى وليس إلى مصريتى أو حريتى فى التفكير»، وفيما كان يعانى من مزيج فكرى معقد ماركسى ليبرالى فرعونى قبطى يأبى إلا أن يزيد أموره تعقيدا فيرفض فكرة العروبة فى زمن ناصرى كان يضحى حتى باسم مصر فى سبيل إعلاء نغمة العروبة واختار لويس عوض أن يقول وبأعلى صوت إذا كنتم تريدون «وحدة» فلتكن وحدة مع السودان، وعرضه ذلك إلى هجمات قاسية مليئة بالبذاءة بعضها يتهمه بأنه مسيحى متطرف وآخر يعايره بأنه «أحول» وثالث يتهمه بأنه «عميل» وتتوالى الضربات ليس من كتاب مهووسين بالولاء للنظام فقط وإنما من النظام نفسه فقد فصل من الجامعة بتهمة الشيوعية (١٩٥٤) ثم سجن ١٩٥٩ بتهمة رفض العروبة والقول بفرعونية مصر، وفى السجن تعرض لتعذيب وحشى لم ينسه طوال حياته.

وفى آخر حوار طويل معه (١٩٨٢) قال «كنت من أشد المؤمنين بوحدة وادى النيل ربما بسبب سنوات طفولتى هناك وربما بسبب رفضى لفرض فكرة العروبة علينا فرضا، حتى كان انفصال سوريا عن دولة الوحدة فأصبحت أرفض شكل الوحدة وأكتفى بالحلم بأنواع من التقارب الأقل مجازفة لكننى وحتى أوائل الستينيات ظللت أحلم بمصر قائدة لكيان سياسى اقتصادى كونفيدرالى اسمه اتحاد جمهوريات وادى النيل أما الآن فأنا لا أعرف ما أريد».